وداعا "ابا نزار"... رحلت جسدا وبقيت الفكرة المتوهجة

بقلم تيسير نصر الله

كان اللقاء الاول معه في تونس ، مع مجموعة من مبعدي الانتفاضة الفلسطينية ، حيث كنت أحدهم.. كان ذالك في أواخر 1989 م، إلتقيناه في مكتبه المكتبة .. كنا نسمع عنه .. عن تواضعه وحبه للكتابة ، عن شعره وفكره الوطني النيّر .. للوهلة الأولى وحين جالت أنظارنا في زوايا المكتب ، تبادر إلينا أننا نجلس في مكتبة ، حيث الكتب ، والروايات، والقصص ، ودواوين الشعر تحتضنها الرفوف ،أوراق مبعثرة هنا وهناك .. تقارير ومقالات وصحف .. يبدو أننا فعلاً في دار نشر او مركز أبحاث ودراسات ، ولسنا في مكتب .

منذ بداية حديثه وترحيبه بنا ،شعرنا أننا نعرفه منذ زمن بعيد .. كان مباشرا في حديثه ، يبتعد عن المجاملات التي تقتل الوقت ..يأخذك الى حيث يريد ، تبحر معه في بحر الفكر والمعرفة ، في قوانين الثورة ، وإنتصار الشعوب المناضلة ، في دواوين الشعر ، يقرأ مقدمة إفتتاحية لمجلة تنظيمية ، أوتعميم تنظيمي ...كان عالمه قريبا من عالمنا ، فنحن ايضاً من محبي القراءة والكتابة ، ونحن إبناء "تجربة الداخل " التي تغنَّى العالم بها عندا اثمرت إنتفاضة شعبية عارمة اذهلت الجميع .. كان هو يرقب هذا الحدث العظيم ، ويتابع تفاصيلة الكثيرة ،فلطالما بشّر به .. لقد كان يشعر إن ذالك يسير في السياق التاريخي للشعوب التي ترزح تحت حراب الإحتلال ، ووفق التحليل العلمي للثورات الشعبية ، والتي لابد أن تندلع من رحم المعاناة .

كان منسجما مع قناعاته ، ومع نفسه ، يسأل كي يرسّخ قناعات لديه .. كان ودودا بلا مبالغة .. حريصا على الوقت ، وعلى عدم إضاعته إلاّ بما هو مفيد ، فالوقت لديه فقط للعمل ..إن لقائه بنا يعتبر عملا بالنسبة إليه .

رأينا فيه إنساناً ومناضلاً من جذور البدايات ، وينابيع العطاء ، يبتعد عن الضجيج والضوضاء والاعلام .. مبشرا بالثورة وكاتب عنها .. مؤمناً بقدرات الشعب على انجاز أهدافه .. وتحقيق النصر، فالإيمان بالتضحية وممارستها لديه يعني فيما يعنيه أولى مقومات النصر .

إنه صخر حبش "أبانزار" اللاجئ من قرية بيت دجن في يافا الى مخيم بلاطة في

نابلس ، ومن ثم الى دول اللجوء الكثيرة ، سفيرا لفلسطين وناطقا باسمها وعاشقاً من عشاقها ، ومفكراً من مفكريها ، وشاعراً من شعرائها ، ورساما من رساميها ، وأديبا من أدبائها ، وفدائياً من فدائييها.
وبعد العودة الى جزء من الوطن السليب تعمقت العلاقة معه ، فكان لنا شرف إستضافته في ندوات فكرية وسياسية كثيرة ، وشرف اللقاء به في عديد المناسبات الوطنية ، والإجتماعات التنظيمية ، فلم أشهد قط إنه تحدث عكس قناعاته ، وإن إختلفت مع قناعات الكثيرين من حوله ، كان يستند في مواقفه على إيمانه العميق بعدالة القضية التي وهب حياته من أجلها ، حتى في أشد لحظات المرض الذي المّ به ، فعند زيارتنا الأخيرة له قبل رحيله قام بإهدائنا مجموعة من إصداراته الثقافية والفكرية والشعرية ، كان يوصينا خيراً بالحركة والوحدة الوطنية .

ها نحن نستذكر فيك كل هذه الصفات ، وهذا الأرث الثقافي والفكري الذي تركته لنا ، وللأجيال القادمة ياشهيدنا الراحل أبا نزار .
ها نحن نعاهدك أن تبقى الفكرة التي رحلت من أجلها متوهجة في نفوسنا وعقولنا ياأبا نزار .
ها نحن نبايعك بأن تبقى قواعد المسلكية الثورية التي آمنت بها هي طريقنا إلى قلوب الجماهير الفلسطينية.

ها نحن نجدد القسم لك ولرفيق دربك الشهيد المؤسس الراحل ياسر عرفات وكل شهداء شعبنا بأن نواصل طريق الحرية والإستقلال والعودة حتى طرد الإحتلال الإسرائيلي الغاصب من أرضنا ، وإستعادة حقوقنا الوطنية غير القابلة للتصرف في إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس ، وحق تقرير المصير لشعبنا وعودة الاجئين إلى ديارهم التي طردوا منها ، وإستعادة ممتلكاتهم ، وتحرير أسرانا من سجون الإحتلال الإسرائيلي

نم قرير العين يا أبا نزار بين الصديقين والأنبياء والشهداء
عاشت فلسطين والنصر لشعبها المناضل

عن لجنة التأبين الوطنية /تيسير نصر الله – عضو المجلس الوطني الفلسطيني

مخيم بلاطة 2009/12/8